الباب الثالث

نظرية الاستعارة التصورية

أ. الدلالة المعرفية

ظهر مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية *Semantique* لدى اللغوي الفرنسي بريال Breal في أواخر القرن التاسع عشر ١٨٨٣ م ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو (علم الدلالات) ليقابل (علم الصوتيات) الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية. اشتقت هذه الكلمة الاصطلاحية من أصل يوناني مؤنث *semantike* مذكرة *semantikos* أي : يعني، يدل، ومصدره كلمة *sema* أي : إشارة؛ وقد نقلت كتب اللغة هذا الاصطلاح إلى الإنجليزية وحظي باجماع جعله متداولا بغير

لبس *Semantics*.[١] بعبارات بسيطة، يمكن تعريف علم الدلالات على أنه مجال علم اللغة الذي يدرس معنى اللغة.[٢]

إن كلمة معرفة *cognition* قد حلّت محل كلمة معرفة *knowledge-connaissance* من دون أن تُلغيها أو تعوّضها، ولكن من أجل الانشغال بفحص موضوع علميّ تم تداول هذه الكلمة في استعمال العلمي، كأداة مفهومية متميزة. فعلى الرغم من أصل الكلمة اللاتيني *congnitio*، فإنها أتت في الإنجليزية بنفس البناء، وذلك بحكم استعمال المفهوم في العلوم المختصة، وهكذا فقد انتشرت الكلمة بقوة، مع النّقلة العلمية التي حقّقها علم النفس بصفة خاصة، والعلوم المعرفيّة بصفة عامة. ثم إنّ تداول الكلمة ينطلق من كونها تتضمَّن إحالة على نشاط وفعالية الفرد الذي يكتسب المعارف، بينما هذه الأخيرة –أي

---

[١] أحمد نعيم الكراعين، *علم الدلالة بين النظر والتطبيق*، (بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م)، ص. ٦–٧

[2] Makyun Subuki, *Semantik Pengantar Memahami Makna Bahasa*..., p. 14

المعارف–فهي تشير بالأساس إلى نتائج هذه النشاط الذهني، إن النشاطات الذهنية التي يقوم بها الانسان تساهم في مجملها في تنمية المعارف لديه، فيقوم بحفظها، وكذا استعمالها، فهذه النشاطات تتفاعل على مستوى عمليَات الإدراك والذاكرة والتّعلّم واللغة.[٣]

فأما الدلالة المعرفية هي قسم من المبحث العام المعروف باللسانيات المعرفية[٤]، تشير الدلالة المعرفية إلى نظرية اللسانيات القائمة على وجهة النظر التقليدية لاتجاه العلاقة السببية بين اللغة والفكر.[٥] بدأت الدلالة المعرفية في أواخر السبعينيات، ولدت كردّ فعل ضد وجهات نظر ذوي النزعة الموضوعية.[٦]

---

[٣] جواد سيحي، *الادراك بين نظرية المعرفة و علم اللسانيات المعرفية*، (د.م: مجلة أواصر، ٢٠١٨)، ص. ٢

[٤] الحبيب المقدميني، *دراسات في اللسانيات العرفنية الذهن واللغة والواقع*، (رياض: دار الوجوه، ٢٠١٩م)، ص. ٩٨

[5] Makyun Subuki, *Semantik Pengantar Memahami Makna Bahasa*..., p. 194

[6] Vyvyan Evans dan Melanie Green, *Cognitive Linguistics An Introduction*..., p. 156

الدلالة المعرفية تيار ينازع نظرية النحو التوليدي وما سبقها من النظريات اللسانية ذات الطبع الموضوعي الشكلي في العديد من القضايا و المنطلقات النظرية. ولعل أهم هذه المنطلقات عدم التسليم بمركزية المكون الإعرابي. إذ يرى الدارسون أن المؤشر الأساسي الذي دفع في إتجاه تغير موقع الدلالة في علم اللغة هو مناهضة مركزية التركيب أو الإعرابي في عملية الإنتاج وتقبل اللغوية. فمع التوجه المعرفية أصبحت الدلالة بما هي عملية ذهنية أساس عملية الإنتاج والتقبل في استعمال اللغة. قد قام هذا المفهوم على رؤية جديدة للمعنى اللغوي تجاوز عند المعرفيين المعنى المعجمي والمعنى المتقوم بالذات الدلالية المجردة باستقراء الاستعمال، ليصبح عملية فكرية تشكل بمقتضاها صورة من الصورة الذهنية. فالمعنى عند الدلالة المعرفية لا تكون عبر شروط الصدق في المنطق الصوري ولا تحصل في مايكون من التطابق

الموضوعي بين الكلمات والأشياء في العالم الخارجي[٧] لأنها تجادل الدلالة المعرفية بأنه لا يوجد وصول مباشر إلى الواقع، وبالتالي، فإن الواقع كما ينعكس في اللغة هو نتاج للفكر البشري بناء على تجاربهم في التطور والسلوك. بعبارة أخرى، المعنى هو بنية تصورية تقليدية واللغة هي طريقة لإضفاء الطابع الخارجي على جميع الآليات الموجودة في الدماغ. وفقا للدلالة المعرفية، فإن عملية وضع التصورية تتأثر بشدة بالاستعارة كالطريقة التي يفهم بها البشر العالم ويتحدثون عنه.[٨]

ب. الاستعارة

إلى الآن، الاستعارة تعتبر مهمة مصدر اللغة الرمزية.[٩] عند التفكير البلاغي العربي القديم عرف علماء البيانين كما قال الهاشمي: أن الاستعارة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة

---

[٧] الحبيب المقدميني، *دراسات في اللسانيات العرفنية الذهن واللغة والواقع...*، ص. ٩٨

[8] Makyun Subuki, *Semantik Pengantar Memahami Makna Bahasa*..., p. 194

[9] Margarita Goded Rambaud, *Basic Semantic*, (Madrid: Universidad Nacional de Educacion a Distancia 2012), p. 207

بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، مثل: رأيت أسدا في المدرسة.[١٠]

يشرح قاموس اللغة واللسانيات أنّ الاستعارة يؤخذ من الكيفية القديمة المتمثل في "مثل". الاستعارة هي صور اللغة يستند إلى علاقة التشابه بين موضعين أو تصوّرين؛ بناءا على ميزات الدلالية المشابهة، وقد حدث نقل التعريفي. غالبا يتصوّر الاستعارة على أنه مقارنة قصيرة، التي لا يظهر مقارنته بشكل صريح. يكون الاستعارة أن تأتي في سياق الجمل كالاسم أو الفعل أو الصفة. كان الاستعارة أن تظهر في الكلمات أو العبارات عادة.[١١]

عرف أرسطو–أول من حدد الاستعارة في التفكير البلاغي الغربي من خلال كتابه "فن الشعر" و"الخطابة"– الاستعارة هي إعطاء إسم

---

[١٠] احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع...، ص. ١٦٩

[١١] شفاء زريد مرحمة، "المجاز في أغنية رثاء الحرب الشرق الأوسط دراسة مقارنة بين علم البلاغة وعلم الدلالة المعرفية"، (بحث، الدرجة الجامعية الأولى، جامعة سلطان مولانا حسن الدين بنتن، ٢٠٢٠م) ص. ٤٧

يدل على شيء الى شيء آخر، وذلك عن طريق النقل إما من جنس الى نوع أو من نوع الى جنس أو من نوع الى نوع أو من طريق الممثلة.[١٢] رأى أرسطو الاستعارة كشكل من أشكال اللغة الزخرفية التي ليست لغة عادية[١٣] وظاهرة أدبية لا ينبغي استعمالها في لغة اليومية، سواء كانت في اللغة الفلسفة، في العلوم، أو في السياسة لأنها انحراف عن الحقيقة.[١٤]

تقليديا، كانت هناك وجهتا نظر حول دور الاستعارة. أي، النظرة الكلاسيكية والرومانسية.

أولا: النظرة الكلاسيكية، بناءا على وجهة نظر أرسطو السابقة. يعرّف الاستعارة بأنها أداة زخرفية بلاغية تُستخدم في لحظة معينة

---

[١٢] عبد العزيز لحويدك، *نظاريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لاكوف و مارك جونسون...*، ص. ١٢

[13] Makyun Subuki, *Semantik Pengantar Memahami Makna Bahasa...*, p. 195

[14] Margarita Goded Rambaud, *Basic Semantic...*, p. 207

ولإحداث تأثير معين. وبالتالي، تعتبر الاستعارة لغة غير عادية تتطلب تفسيرًا من المستمع أو القارئ.

ثانيا: النظرة الرومانسية، وتقول إن الاستعارة تمتزج في اللغة والفكر بشكل متكامل.[١٥]

ج. الاستعارة التصورية

أخرج جورج لاكوف و مارك جونسون الاستعارة من سجن اللغة، الذي حبست فيه الأكثر من ألفي سنة، من أرسطو إلى البراغماتيين . فالاستعارة فلم تعد لديهم ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية استبدال، أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن، تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا

[15] Makyun Subuki, *Semantik Pengantar Memahami Makna Bahasa...*, p. 195

الحياتية، وهو ما يعني أن الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصورية، لا لسانية.[١٦]

مثلت سنة ١٩٨٠ من القرن الماضي نقطة تحول جذرية في التاريخ الطويل للتفكير حول الاستعارة، وظهر ما بات يسمى بالاستعارة التصورية، التي توضح مفهومها أكثر مع صدور كتاب لاكوف وجونسون "الاستعارات التي نحيا".[١٧]

تمثل الاستعارة بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرا مرتبطا بالخيال الشعر و الزخرف البلاغي. انها تتعلق، في نظرهم، باستعمالات اللغوية غير العادية وليس بالاستعمالات العادية. و على العكسي من ذلك، يريان لاكوف و جونسون أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية انها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا و في

---

[١٦] مُحَمَّد الصالح البو عمراني، *دراسات نظرية وتطبقية في علم الدلالة العرفاني*، (صفاقس: مكتبة علاء الدين، ٢٠٠٩)، ص. ١٢٣

[١٧] عمر بن رحمان، *نظارية الاستعارة التصورية والحطاب الأدبي*، (القاهرة: ٢٠١٥م)، ص. ٨٠

الاعمال التي نقوم بها أيضا.[١٨] الاستعارة وسيلة لتصور شيء من خلال شيء آخر، ووظيفتها الاولى الفهم.[١٩]

هذه النظرة الدلالة المعرفية للاستعارة كما وصفها سابقا لاكوف وجونسون هي تتشابه بالنظرة الرومانسية. لكن الدلالة المعرفية ترفض وجهة النظر الرومانسية بأن كل لغة استعارية. تعتقد الدلالة المعرفية أن الاستعارة هي شكل مهم من أشكال الفهم والحديث عن العالم، لكنها تقبل أيضا وجود مفاهيم أخرى سوى الاستعارة.[٢٠]

تعرف الاستعارة التصورية باعتبارها عملية الميدان تصوري ما (*conceptual domain*)، عن طريق ميدان تصوري آخر. حيث يمكن إنجازها كالتالي : الميدان التصوري (أ) هو الميدان التصوري (ب).

---

[١٨] جورج لاكوف ومارك جونسن، ترجمة : عبدل المجيد جحفة، *الاستعارة التي نحيا بها*...، ص. ٢١

[١٩] عبد العزيز لحويدك، *نظاريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لاكوف و مارك جونسون*...، ص. ٢٦٧

[20] Makyun Subuki, *Semantik Pengantar Memahami Makna Bahasa*..., p. 197

وذلك مثل فهم الحياة عن طريق الرحلة والجدال عن طريق الحرب، والحب عن النار. حيث يسمى الميدان الأول ميدانا هدفا (*target domain*)[٢١] أو يسمى بمجال وصول[٢٢] أكثر تجريدًا (مركبة) أو على الأقل أقل تنظيما.[٢٣] والميدان الثاني ميدانا مصدرا (*source domain*)[٢٤] أو يسمى بمجال انطلاق[٢٥] (فحوى) الذي يكون ملموسا ومألوفا.[٢٦]

إن التمشي الاستعاري يهدف إلى تحقيق الفهم، فهم طريق "ب"، أو فهم الميدان الهدف عن طريق الميدان المصدر، وهذا الفهم يتأسس على مجموعة من الترسيمات (*mappings*)، فالعناصر التي تكون الميدان "ب" تتعلق بتلك العناصر التي تكون الميدان "أ"، وبعبارة أخرى

---

[٢١] مُحَمَّد الصالح البو عمراني، *دراسات نظرية وتطبقية في علم الدلالة العرفاني...*، ص. ١٢٤-١٢٥

[٢٢] جورج لاكوف، *ترجمة: طارق النعام، النظرية المعاصرة للاستعارة* (مصر: مكتبة الإسكندلاية، ٢٠١٤)، ص. ١٣

[23] Margarita Goded Rambaud, *Basic Semantic*..., p. 207

[٢٤] مُحَمَّد الصالح البو عمراني، *دراسات نظرية وتطبقية في علم الدلالة العرفاني...*، ص. ١٢٤-١٢٥

[٢٥] جورج لاكوف، *ترجمة: طارق النعام، النظرية المعاصرة للاستعارة...، ص. ١٣*

[26] Margarita Goded Rambaud, *Basic Semantic*.., p. 207

فعناصر الميدان المصدر رسم عناصر الميدان الهدف.[٢٧] الترسيمات أو يسمى بالمراسلة. تتكون من نوعين: المراسلة الأنطولوجية (تشير إلى طبيعة الموجودين المرتبطين)، والمراسلة المعرفية (تشير إلى معرفتنا التي تربط الموجودين).[٢٨]

د. تقسيم الاستعارة التصورية

لاكوف وجونسون يقسمان الاستعارة التصورية إلى ثلاثة أقسام، منها:

١. **الاستعارة البنيوية (*Structural Metaphor*)**

الاستعارة البنيوية هي أن يبنين تصور ما استعاريا بواسطة تصور. ومثال ذلك فهم المناظرة الكلامية ضمن مقولة الحرب فنقول: «الجدال حرب» فنسقط تمثلنا الخاص بالاستراتيجيات الحربية على

---

[٢٧] محمد الصالح البو عمراني، *دراسات نظرية وتطبقية في علم الدلالة العرفاني*...، ص. ١٢٤-١٢٥

[28] Margarita Goded Rambaud, *Basic Semantic*..., p. 207

عملية التخاطب. فإذا كانت الحرب تتطلب مشاركين وتخطيطا ودفاعا وهجوما وربحا وخسارة، فإن الجدال الكلامي على سبيل التماثل، يدرك انطلاقا من التصور الحربي، فنكون إزاء صراع كلامي بين طرفين يستعمل كل واحد منهما عتاده من الأدلة اللغوية لدحض موقف الأخر وأطروحته، لتحقيق النصر والحاق الهزيمة بالخصم والعدو. وبهذا تكون الاستعارة البنيوية آلية استدلالية نتوسل بها لفهم مجال بمجال آخر أكثر بنينة وتجذرا في نسقنا التجريبي الثقافي .[٢٩]

٢. **الاستعارة الاتجاهية (*Orientational Metaphor*)**

الاستعارات الاتجاهية يرتبط أغلبها بالاتجاه الفضائي: عال - داخل- خارج- أمام - وراء- فوق تحت عميق سطحي- مركزي- هامشي. وتنبع هذه الاتجاهات الفضائية من وضعية أجسادنا وكيفية اشتغالها في المحيط الفيزيائي، يعطي هذا النوع من الاستعارات توجها

---

[٢٩] عبد العزيز لحويدك، *نظاريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لاكوف و مارك جونسون...*، ص. ٢٦٩

فضائيا لنسقنا التصوري، كما التصور التالي: السعادة فوق، فكون تصور السعادة موجه إلى أعلى هو الذي يبرر وجود تعابير من قبيل: "أحس أنني في القمة اليوم".

إن استعارات اتجاهية كهذه ليست اعتباطية، وتوجد مرتكزاتها في تجربتنا الفيزيائية والثقافية. ورغم التقابلات الثنائية بين فوق وتحت، أو بين داخل وخارج ... إلخ، لها طبيعة فيزيائية، فإن الاستعارات الاتجاهية التي تنبني عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى. ففي بعض الثقافات، مثلا، يوجد المستقبل أمامنا، في حين أنه في ثقافات أخرى يوجد خلفنا.[٣٠]

[٣٠] جورج لاكوف ومارك جونسن، ترجمة : عبد المجيد جحفة، *الاستعارة التي نحيا بها*...، ص. ٣٣

٣. الاستعارة الأنطولوجية (*Ontological Metaphor*)

تكمن في بنية أنساق و موضوعات مجردة استنادا إلى أنساق فيزيائية، أو موضوعات محسوسة، وفيها يتم النظر إلى الموضوعات المجردة أو الأشياء غير المدركة بشكل مباشر كالفلسفة والحكمة، أو الانفعالات كالحب و الغضب باعتبارها أشياء مادية محسوسة.

وهي دائمة الحضور في مستوى تفكيرنا لدرجة أننا نتعامل معها على أساس كونها مجرد مسلمات وبديهيات يمكن أن نطلق عليها حكم الصدق والكذبة، ويطلق الباحثان على هذا المثل مصطلح الاستعارة الأنطولوجية، وتتفرع إلى :[٣١]

---

[٣١] جميلة كرتوس، *الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية "لماذا تركت الحصان وحيدا" لمحمود درويش أنموذجا*، (جامعة مولود معمري تيزي وزو، ٢٠١١)، ص. ٤٢

أ. الاستعارة الأوعية (*Container Metaphor*)

تعتبر الاستعارة الأوعية الكيان المجرد أو الحي كحاوية أو مساحة للدخول والخروج. عندما يدخل كائن إلى الحاوية، تستطيع أن تملأ أو تفرغ الحاوية. المثل: لَقَدْ خَرَجَ مِنَ الأَوْقَاتِ الحَرَجَةِ.

ب. الاستعارة التشخيص (*Personification Metaphor*)

لقد وجدنا من خلال دراسات التشخيصيات بشكل عام أن هذا العدد الساحق فيما يبدو يوافق نمطا مفردا: أحداث (مثل الموت) مفهومة وقفا لأفعال فاعل ما (مثل الحصد). إنه ذلك الفاعل الذي يشخص. ومن ثم فقد افترضنا استعارة عامة جدا وهي استعارة الأحداث أفعال، التي ترتبط باستعارات أخرى موجودة بشكل مستقل للحياة والموت.

قالا لاكوف وجونسون أن التشخيص هو كيان على شكل الجامدة التجريدة أو الملموسة، التي تستخدم وتستعملها مثل الانسان من جميع الجوانب والأنشطة. وقال موري التشخيص هو يستعمل شيئ ميت كأن له صفات انسانية أو قادر على أفعال الانسان. المثل: يَشُوْمُوْنَ الأَشْجَارُ.[٣٢]

[٣٢] شفاء زريد مرحمة، "المجاز في أغنية رثاء الحرب الشرق الأوسط...، ص. ٦٠-٦١